صورة الشرق في الأفلام الأمريكية
كتاب "الصورة المسيئة للعرب" لجاك شاهين أنموذجا*

The Image of the East in American Films
A Book The offensive photo of Arabs by Jack Shaheen is an example

د/ مسالي ليندة
جامعة عبد الرحمن ميرة-بجاية-الجزائر (مخبر التأويل وتحليل الخطاب)
lynda.messali@univ-bejaia.dz

ملخص:
راح الغرب يوسع دراسته الاستشراقية حول الشرق والإسلام بعد تفجيرات سبتمبر2001، مخصصا لذلك عددا كبيرا من الخبراء للإحاطة بالمنطقة بغية السيطرة عليها. ما يميز الدراسات الاستشراقية الجديدة أنها أضحت عبارة عن تيار ثقافوي يقوم على إعادة تأهيل الأطروحات الاستشراقية الكلاسيكية كممارسات في حقول معرفية مختلفة كالإعلام والسينما ودور النشر. انتبه معظم المفكرين العرب والإسلاميين إلى هذه النزعات التوسعية والعدائية التي طالت الأمة في الآونة الأخيرة تحت مزاعم ثقافية واقتصادية وإنسانية مختلفة. فقاوموا هذه الممارسات الاستشراقية التي تحط من الإسلام ومن العرب، من بينها كتاب "الصورة المسيئة للعرب في السينما الأمريكية" لـ جاك شاهين الذي قام بدراسة وتحليل حوالي 900 فيلم أمريكي. لقد اخترناه نموذجا لنقد الاستشراق في الخطاب السينمائي الأمريكي، لأن الكتاب يعرض الدور الذي تمارسه الأفلام الأمريكية في صناعة وتكريس الصورة النمطية للعربي وللشرق في الأفلام الهوليودية، والهدف من الدراسة هو معرفة أولا نظرة الآخر (الغربي)/تحديدا الأمريكي نحو العرب والمسلمين في السينما المعروضة ودور الإعلام، والدور الذي تمارسه السينما في صناعة الوعي العام بتكريس نمطية النظرة الاستشراقية بغية السيطرة أو استمرارية الهيمنة، اخترنا منه بعض الأفلام التي قدمت صورا مسيئة للعربي والمسلم مثل فيلم "لورانس العرب" وفيلم "الحصار قواعد الاشتباك" و"ليالي عربية"، وتم التوصل إلى نتائج قدمناها في آخر البحث أهمها ضرورة التصدي لهذه النظرة للحد من التشويه أو وضع مخابر مختصة في هذا الميدان لصناعة نظرة مشابهة لترد بالتأليف والإعلام والاستعانة بكل ما يمكنه مساعدة الشرق على الخروج من هامش التموقع.

الكلمات المفاتيح: الاستشراق الجديد، الشرق والغرب، السينما الأمريكية، الأفلام، الإسلام

Abstract : After the September 11 attacks in 2001, the West expanded its Oriental studies focusing on the East and Islam, dedicating a significant number of experts to understand the region in order to control it. What distinguishes new Oriental studies is that they have

*

تاريخ استلام البحث: 2024/06/28	تاريخ قبول البحث: 2024/09/25	تاريخ النشر: 2024 /10/15

become a new cultural ideology aimed at rehabilitating classical Orientalist assertions as practices in various knowledge fields, such as media, cinema, and publishing.
Most Arab and Islamic thinkers have noticed these recent expansionist and hostile tendencies directed at the nation under various cultural, economic, and humanitarian pretexts. They have resisted these Orientalist practices that undermine Islam and Arabs. Among them is the book “The Negative Portrayal of Arabs” in American Cinema" by Jack Shaheen, who studied and analyzed approximately 900 American films. We relied on it as a model to criticize Orientalism in American cinematic discourse because it highlights the role of American films in shaping and reinforcing the stereotypical image of Arabs and the East in Hollywood films. We selected some films that portrayed negatively Arabs and Muslims, such as "Lawrence of Arabs," "The Siege," "Rules of Engagement," and "Arabian Nights”, among others.
keywords: New Orientalism, East and West, American cinema, films, Islam.

مقدمة:

كانت تفجيرات 2011 لحظة فارقة في تاريخ الفكر المعاصر، لأنها دفعت بالغرب نحو العودة إلى مجمل أفكار المستشرقين إلى درجة أنه وخلال فترة وجيزة تم استعادة التراث الاستشراقي بكل توجهاته العرقية والاثنوغرافية. إن الغرب بعد هذه الحادثة راح يوسع دراسته الاستشراقية*، ويطلب المعرفة لتوطيد دعائم سيطرته على العرب والإسلام، مخصصا لذلك عددا كبيرا من الباحثين والخبراء للإحاطة بكل ما يخص المنطقة وتوجهاتها، فكانت هذه البحوث مستودعا للأفكار، يتم الاعتماد عليها في توجيه العمليات السياسية ودعم صانعي القرار.

ما يميز الدراسات الاستشراقية الجديدة أن من ينتجها هم باحثون ينتمون إلى حقول معرفية مختلفة، بل إن منهم من ينتمي إلى أصول مشرقية غادروا أوطانهم طلبا للعلم، مما ساهم في منح هذه الدراسات وعيا عميقا بالآخر الشرقي وبثقافته. وهذا يعني أن هذه الدراسات الاستشراقية تغيرت من كونها استشراقا إلى كونها دراسات إنسانية مختلفة المجالات والتخصصات وتخلصت من أساليبها القديمة المعروفة لدى الآخر لتكتسي صفة الخطاب والثقافة. لقد أضحى عبارة عن **مذهب ثقافوي جديد يقوم على تجديد وإعادة تأهيل الأطروحات الاستشراقية الكلاسيكية ومتطلبات الدفاع عن قيم الحداثة والديموقراطية في سياق يتميز بأدلجة متنامية للعلاقات بين الشرق الأوسط والدول الغربية[1]. هذا التحول لا يعني انتهاء الاستشراق التقليدي، لكنه أضحى مفهوما متخما ببعد إيديولوجي غير**

مرغوب فيه وأصبح بفعل عوامل عدة يمثل المرادف الذهني للصورة النمطية عن الاحتلال وعدم الموضوعية والعدائية وغير ذلك [2].

رافق الاستشراق الجديد كل التغيرات التي كانت تحدث في الغرب، **لذا يعد جزء من الثقافة الغربية في دورها الجديد وامتداد لمناهج المركز على موضوعات المحيط**[3]. وهذا ما ظهر في أطروحات المستشرقين الجدد وعلى رأسهم المؤرخ البريطاني برنارد لويس وصامويل هنتيغون في كتابه صدام الحضارات. **برنارد لويس** في بعض مقالاته تبنى أكثر المواقف تطرفا ضد الإسلام والعرب، مثل مقاله جذور السخط الاسلامي1999 وكتابيه ابن الخطأ 2001 وأزمة الاسلام2003 متهما المسلمين بتقلبهم بين خيار الإعجاب بالغرب والحقد عليه.

أطروحات برنارد لويس قامت بتمثيل المسلمين على نحو يرضي الإمبراطورية الأمريكية، وفي سياق حديثه عن الصراع بين العرب والغرب يقول: **لقد أدى الأثر الذي أحدثه الغرب بسككه الحديدية ومطابعه وطائراته وأفلامه السينمائية ومصانعه وجامعاته ...إلى تحطيم البنية التقليدية للحياة الاقتصادية إلى الأبد، بحيث طالت حياة كل عربي في معاشه اليومي وأوقات راحته وحياته العامة والخاصة** [4]. هذا النوع من الخطاب الاستشراقي الجديد يشدد على فكرة الشرق المتخلف الذي تحكمه طبائع الاستبداد، الشرق الحاقد على الغرب بسبب سياسات الهيمنة والإخضاع التي يمارسها العالم الغربي، وبسبب الإمبراطورية الأمريكية التي تشن حروبا شرسة ضد الأصولية والإسلام الجذري لتجنب خطر عهد جديد من الحروب الدينية.

أ- نقد الاستشراق

كانت الظاهرة الاستشراقية منذ ظهورها محل جدل وتفحص وسط الباحثين حتى بين أولئك الذين يطلقون على أنفسهم تسمية "المستشرقون"، إلا أن نقدها في الفكر العربي المعاصر كان لافتا حتى صعب الحديث عن مفكر لم يلتفت إلى هذه البحوث، ناظرا إلى **الآداب والمعارف والعلوم الإنسانية الغربية بعيون أخرى منتبهين إلى الحيل والغايات الاستشراقية المخفية في أساس عملية تمثيل الشرق أو شرق الغرب**[5]. فقد كان ضروريا على المفكرين العرب والإسلاميين بذل المزيد من الجهود للوقوف ضد هذه النزعات التوسعية والعدائية التي طالت الأمة في الآونة الأخيرة تحت مزاعم ثقافية واقتصادية وإنسانية مختلفة.

وهنا يذكر الباحثون جذورا أولية لنقد الاستشراق عند المفكر المصري **أنور عبد الملك** في مقاله **الاستشراف في أزمة** 1963م، ثم طور **إدوارد سعيد** آليات نقد الاستشراق في كتابه **الاستشراق** الصادر سنة2003 م، بسبب ما جاء به من أطروحات نقدية حول المعرفة والثقافة والسلطة والخطاب،

ما جعل أغلب الباحثين يصرون على أنه المؤسس الحقيقي لخطاب نقد الاستشراق فاتحا المجال أمام العديد من الدراسات العربية* لتثمر في هذا المجال.

وقدم **خالد إبراهيم المحجوبي**، كتاب "**نقد الاستشراق**" حيث فرّق فيه بين الاستشراق كظاهرة و كخطاب استشراقي قائلا: **هو جملة من الطروح والأفكار والنظريات التي صدرت عن المستشرقين وأجمعت عليها آراء جمهورهم وهو بهذا يختلف عن الاستشراق في حد ذاته كونه مجموعة من البحوث التي توجهت نحو تاريخ وثقافة وحضارة العالم العربي والإسلامي**[6]. إن أزمة الاستشراق كما صرح في مؤلفه ظهرت بسبب تدخل الخلفيات الدينية والمركزية الغربية في توجهات الاستشراق، وتورط البحوث الاستشراقية في الإمبراطورية الاستعمارية وضعف الأدوات البحثية إضافة إلى ضعف التوثيق والمراجع التي تم الاعتماد عليها.

ويطالعنا كتاب **ضياء الدين ساردار** الذي أعاد النظر إلى الاستشراق بوصفه تأملا ما بعد حداثي، معتبرا الاستشراق الجديد ممارسة معاصرة تعيد إنتاج نفسها في الثقافة الغربية لأنها تلبي حاجة في النفس الغربية، وبعض أن تراجع ليصبح مجرد تخصص وخيال أدبي ها هو يهاجم ليحتل عالم الأفلام والتلفزيون والأقراص المدبلجة[7]، لقد ألقى الضوء على صورة الشرق في المرويات والفنون والسينما والدراسات الغربية مؤكدا عودة الاستشراق بقوة في القرن العشرين في دراسة المناطق والسينما والفكر والفلسفة والروايات الأكثر مبيعا والألعاب الالكترونية الخ.

إن عودة خطاب الاستشراق في الأفلام يجعل الاستشراق مؤامرة منظمة تحرض شبابنا على الثورة ضد عقيدتهم ورفض ميراث الإسلام وتاريخه وثقافتهن، وهنا يؤكد ساردار أن الغايات الأساسية للاستشراق هي تفحص الأرض التي يرغبون باحتلالها وفتحها والتغلغل في وعي الشعوب للتأكد من ضمان إخضاعها للقوة الأوروبية[8]، لهذا يجرى فيه حرمان الشرق من أي تطور اجتماعي وتجاهل منجزاتهم العلمية والمعرفية ليكون الاستشراق بذلك ما رغب الغرب في معرفته لا فيما كان بالإمكان معرفته. وعليه بعض الباحثين حين يرفضون الاستشراق فإنهم يؤكدون أنه لا يوجد أي شيء يخص الاستشراق يمكن اعتباره محايدا أو موضوعيا لأنه لا أحد يأتي إلى هذا المبحث من دون أن يحمل معه متاعه الخاص.

2-السينما والاستشراق الجديد

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا وسلكوها، منها تأليف الكتب حول الأمة العربية والإسلامية وإصدار المجلات والتبشير وإلقاء المحاضرات وعقد المؤتمرات، وامتد بهم الأمر إلى نشر آرائهم ومعتقداتهم في وسائل الإعلام المختلفة كالمحطات التلفزيونية والأفلام والسينما[9]. إن السينما اليوم تكتسب أهمية بالغة في صناعة الوعي الجماهيري وتضليله أيضا، من حيث إنها تصنع

واقعا يتناغم مع رغبات المنتج أو ما يطمح إلى تحقيقه مما يؤثر بالأساس على المشاهد. إن ما تصنعه السينما الآن يؤثر أكثر من أي كتاب، فهي أداة سياسية وخطاب اجتماعي شديد التأثير على الرأي العام. يقول في هذا الشأن **بنجامين باري** إن **المعلمين الحقيقيين لأطفالنا ليس هم المدرسين ولا الأساتذة في الجامعات وإنما المخرجون السينمائيون**[10] .

تعتبر الولايات المتحدة من الدول التي تستخدم الأفلام كأداة دعائية، إن مئات الأفلام التي أنتجت في هوليود الأمريكية منذ بداية صناعة السينما 1896 تقدم صورة سلبية عن المسلمين، وهي نتيجة توصل إليها الباحث الأمريكي من أصل لبناني **جاك شاهين** في كتابه **الصورة الشريرة للعرب** في السينما الأمريكية صدر في حوالي 1148 صفحة في جزأين ويحلل فيه المؤلف حوالي 900 فيلم روائي استمر جهده حوالي 20 عاما مؤكدا أنها أفلام أمريكية وصفت العرب بصور سلبية، كما يكشف أن الإسلام تعرض لمعالجة سينمائية غير عادلة، بعدما تم تصويرهم كأعداء وحمير وخنازير، قرآن..إلخ.

ويذكر **جاك شاهين** في كتابه أن هناك أفلاما مستفزة للعرب يعاد بعثها أسبوعيا، وغير بعيدة عن تلك الصورة النمطية للعربي المبثوثة في كتب الاستشراق، واستثنى 12 فيلما أمريكيا تنصف الأرض الشرقية والمسلمين، من بين 900 فيلم وصفهم بأبشع الصفات، وأكد أن الأفلام التي صدرت بعد الألفية الثالثة تتميز بالمثابرة في تمثيل العرب سلبيا، ويتم أيضا تجاهل فكرة أن العرب المسلمون لا يمثلون سوى 12% من عدد المسلمين في العالم من طرف صناع السينما[11].

بناء ما سبق يمكن القول، إن الأفلام السينمائية الأمريكية قد ورثت المعرفة التمثيلية للعرب عن الاستشراق، فهي تشن هجوما كاسحا على العرب وتنتج أفلاما تحذر من الخطر الإسلامي. هذا يعني أن النظرة التي أوجدها الاستشراق لا تزال مستمرة في كثير من الأفلام التي صنعت في هوليود وبدل النظر إلى الأفراد باختلافاتهم وضعتهم في قوالب جاهزة تختزل فيها الصفات والجنسيات، وهي تقريبا مغالطات يمكن أن تؤثر في الحقائق. فقد رأينا وشاهدنا الكثير من الأفلام، التي يظهر فيه الإنسان العربي وهو مشوه جسديا وثقافيا وفكريا، مما يسيء إلى الرجل الشرقي لدى الأجيال الراهنة، بل أصبحت هذه الأنماط أكثر سوءا مؤخرا.

يقدم جاك شاهين أمثلة كثيرة جدا، ترصد لنا هذه الصورة وقمنا بالتوقف عند بعض هذه الأفلام بناء على معرفة ومشاهدة حقيقية لها مثل **ليالي عربية** ARABIAN NIGHTS

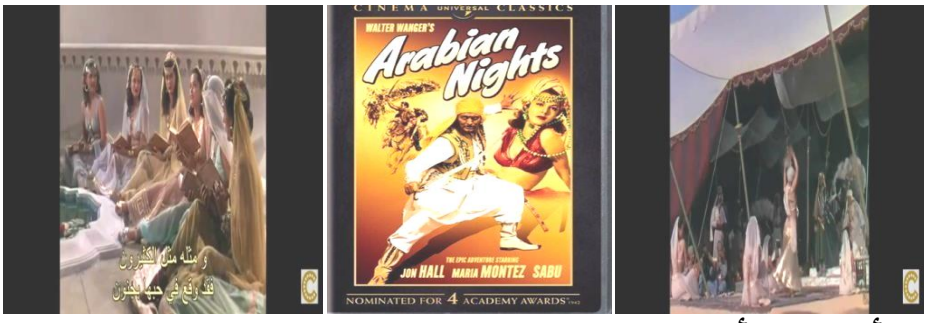

وهو فيلم مأخوذة من ألف ليلة وليلة. في الفيلم يظهر المجتمع العربي وهو منشغل بالشهوة، والمرأة ترتدي الملابس الفاضحة وترقص أمام الجميع، ويفتن بها الرجال منهم صاحب سيرك أحمد، وقمر شقيق الخليفة هارون الرشيد الذي تجمع بينهما علاقة ويحاول أن يظفر بها كزوجة بعد أن يبلغ مسمعه نبوءة تقول بأنها ستغدو الملكة المستقبلية، وحاول قمر الانقلاب على أخيه عدة مرات، ونجح في الاستيلاء على الخلافة، وتم جرح هارون الرشيد، وتولت شهر زاد تمريضه، لتنشأ بينهما قصة حب.

اخترنا من الكتاب أيضا فيلم **فيلم الحصار1998**، THE SIEGE هو فيلم يتحدث

عن اعتقال قائد مسلم اتهم بتفجير ثكنة عسكرية أمريكية في السعودية سرعان ما يتم الانتقال بالأحداث إلى نيويورك، لنشهد سلسلة تفجيرات قام بها أتباع هذا القائد بداية من حافلة محملة بالرهائن يقتل فيها العديد من الأبرياء، وهي الصورة التي ترسم المسلم بأبشع الصفات؛ إرهابي وقاتل ومتسبب في أعمال عنف، ويصلح الفيلم نموذجا مثاليا للنمطية التي ورثتها السينما عن العربي المسلم.

الاختيار الثالث وقع على فيلم **قواعد الاشتباك** RULE OF ENGAGEMEN . يتحدث الفيلم عن اشتباك وقع أمام مقر السفارة الأمريكية بين متظاهرين يمنيين والقوات العسكرية الأمريكية التي أرسلت إلى الموقع بعد أن سمعوا صوت التفجيرات، يتمكن العقيد تيري شيلدرز من إخراج زوجة السفير وابنهما، بينما يقتل عدد من الجنود، لينتقم من المتظاهرين، فيقتل العديد منهم، لكن انتهاك

القواعد من العقيد يجعله عرضة للمحاكمة ما يؤخذ على الفيلم أنه أظهر اليمينين حاقدين على الأمريكان، وعنصريين.

الاختيار الأخير يجعلنا نستحضر فيلم **لورانس العرب*** كنموذج مثالي للنظرة الغربية للعرب ولتاريخهم، فقد رسخ صورة العربي التابع والمتخلف، وضع معهد الفيلم الأمريكي هذا الفيلم في المركز الخامس لأعظم الأفلام في التاريخ، كان الفيلم من إخراج ديفيد لين عام 1962، وأعيد إحياؤه 2012 في بريطانيا بعد مرور أكثر من 58عاما، وبقي يحظى بنفس التأثير محافظا على نفس الأحداث والتمثيلات.

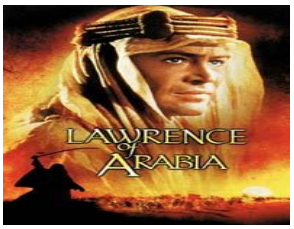

يمدنا هذا الفيلم بصورة عن كيفية تجسيد هوليود للعرب والحضارة الإسلامية التي عمدت إلى تشويهها بناء على رؤية استشراقية، لقد ظهر العرب في الفيلم بمظهر المتخلف والبدوي والغبي وسهولة التحكم فيه وأنهم شعب لا يستحق الحياة وغير قادرين على إدارة حياتهم، لذا فهم بحاجة إلى من يسوسهم ويقودهم، ولنشرح ذلك أكثر ؛ نرى المشهد الافتتاحي وهو يصور لنا طائرات تركية تقصف الأمير فيصل وأتباعه وفي الصحراء والنتيجة الكثير من القتلى العرب، وهنا يقوم لورانس مع البدو بتفجير السكك الحديدية التركية ويدمرون المواقع العسكرية[12].

يكشف هذا المشهد أن الأتراك المسلمين في نظر هؤلاء هم مستعمرون لبلادنا ممتصون لخيراتنا، وليست رابطة العقيدة التي حملوا لواءها إلا قناعا نفذوا من خلاله مآربهم وأطمعاهم الاستعمارية[13]. ويمكن أن نلمس صورا سلبية تتناثر في الفيلم كتقاتل العرب فيما بينهم وعجزهم عن التعايش معا يقول لورانس في الفيلم: **يا شريف علي مادام العرب يتقاتلون قبيلة ضد قبيلة فسوف يبقون شعوبا صغيرة غبية جشعة همجية وقاسية مثلك.** حيث طوال الفيلم تسود فكرة التفوق الحضاري والسيطرة الثقافية.

3 -الأفلام تمثيلات تضليلية

يقول **جاك كوكتو** في كتابه فن السينما **إن الفيلم بإمكانه جعل الحقيقي غير واقعي وشيئا من الخيال**[14]، وعلى هذه النقطة بالذات عكفت السينما الأمريكية على عرض التقابلات في كثير من الأحيان وتعزيز الفروقات بين الشرق البربري والغرب المتمدن بين الأميين والمتعلمين بين البرابرة والمتحضرين، وهذه الفروقات تناولتها الدراسات الاستشراقية وعملت على تكريسها والتأثير الذي يمارسه على الجانب السياسي والاجتماعي بالغ الأثر، تنعكس في مواقف الصحفيين والمسئولين وغيرهم، إذ

تحوم حولهم الشبهات في أي عمل، وترى ماجدولين اصفهاني وهي طالبة أمريكية من أصل عربي أن أكثر الواقف التي تواجهها هي تساؤلات من مثل "هل امتطيت الجمل" و"هل تعيش في الخيام" ...الخ.

تتكرر هذه الصور المدمرة على مدى سنوات طوال، وترى المخرج أحيانا يستحضر مشاهد لا علاقة لها بالفيلم فقط في أدوار ثانوية ترضي الذائقة الأوربية. يؤكد **شاهين** أن المخرجين الأمريكيين لم يصنعوا بأنفسهم هذه الصور السلبية وإنما ورثوها وزخرفوها، طبعا هم ورثوها عن الأوروبيين الذي اختزلوا المنطقة إلى مجردة مستعمرة، فقدموا عبر أعمالهم صورا للصحاري الفاصلة المهجورة والقصور المليئة بالفساد والأسواق القذرة والإنسان العربي الكسول[15]، وهو يرى أن هذه الصورة لم يصنعوها من لا شيء وإنما ورثوها عن الأوروبيين الذين أوجدوا صورا كاريكاتورية للعرب في القرنين الثامن والتاسع عشر .

3- العرب في الأفلام الأمريكية

قدمت هوليوود العرب بصورة برابرة متوحشين من عرق متشابه، وما تم ملاحظته أن التعصب والحقد القديم ضد الإسلام يعرضان الآن بلباس الكراهية للقومية العربية على حد تعبير الطيباوي: **إن موقف الباحثين في الشؤون المعاصرة إنما هو استمرار لتراث أسلافهم إلا أنه يعرض الآن وراء واجهات مختلفة مثل الكراهية العرقية أو الايدولوجية الفكرية بدلا عن كل الأحقاد الدينية والعقائدية السابقة أو حتى موازية لها في عنفوانها**[16]. إن عيوب الاستشراق التي كانت محصورة في الدراسات الإسلامية امتدت لتشمل ما يسمى الآن بدراسات القومية العربية أيضا، مما يعني استمرار عداء الغرب المستحكم ضد الإسلام تحت شعارات مضللة تبدأ بفرضيات واهية تفتقر إلى أي دليل يسندها.

نستنتج مما سبق أن السينما والأفلام لا يمكن أن تكون حيادية في التمثيل، ويبدو كلام الطيباوي صحيحا حين قال: **إن الصحافة ووسائل الإعلام في الغرب مشهورة بسوء سمعتها في إهمالها الحياد في كل ما يتعلق بالشؤون العربية وبمعنى آخر إن وسائل الرأي العام القوية هذه تعكس في الواقع اتجاهات عصرها العقائدية وبالأخص سياسة حكومتها القومية ومؤسساتها العامة**[17]. إذ قلما يشاهد أحد اليوم فيلما حول العرب دون أن يجد فيه ما يسيء عرقيا له وتحميله تبعات اللوم والتخلف والتناقض للحضارة الغربية المتحررة. لقد كرست هذه الأفلام صورة العربي ذي اللحية السوداء، والبشرة السمراء وأنفه الضخم الذي يعيش كبدوي كما في الصورة.

لقد شهوت السينما الغربية دلالة الشيخ التي قرنت بالحكمة والعدالة، وقد ظهر في أفلام بصورة نمطية بلحيته الطويلة ولباسه التقليدي وشخصيته المتوحشة المتحرشة بالنساء كما في فيلم الليالي العربية، وبدل من رسم الشيوخ كرجال كبار السن وحكماء قام كتاب السيناريو بتقديم ميلودراميات رومانسية تصورهم كأضحوكة وموضع للسخرية، قذرين وبأنف مقونة يندفعون بقوة لمطاردة الشقروات[18].

وفيما يخص النساء، فقد ظهرن بشكل نمطي خاضعات ومحجبات كما في فيلم لورانس ويقتصر دورهن على تلبية رغبات الرجل الجنسية، ويسرن خلف أزواجهن عدا أفلام كثيرة ظهرت فيه المرأة العربية ساحرة ومشعوذة ولا يتواجدن في أماكن العمل، ويظهرن راقصات يكشفن عن صدورهن ويهززن بطونهن ويطللن برؤوسهن من وراء الحجاب الشفاف أو يقبعن في الحرملك الخاص بهن [19]، وهذا واضح في الصور المستشهد بها أعلاه من فيلم "ليالي عربية" ولباسهن الأسود مع الصمت القابع.

تظهر الأرض العربية بشكل غامض مجهول، لها أسماء غريبة مثل أوتار الوجاش الصحراء والخيم التي يعيش فيها والنساء بالحجاب والسيوف والسكاكين والفوانيس والأفاعي [20].

والغريب في الأمر أنه لا توجد صور لرجال عاديين ونساء وأطفال يعيشون حياة عادية، بل تم إغفال أي منجزات لهم ولم يظهروا كأفراد مبدعين، كما تراهم مهرجين أغبياء لا يعرفون حالهم، وغالبا ما يتم مصادرة أخلاقهم، وهكذا بقيت الصورة التي ترسم حول الشرق والمسلمين نمطية متجذرة من الرؤى الاستشراقية القديمة نفسها، صورة الشرق المتخلف الغير عقلاني العنيف المستبد الذي يعمه الطغيان، وهو أدنى منزلة من الغرب العقلاني المتحضر الديمقراطي المتمسك بحقوق الإنسان[21]. تميزت الدراسات باللجوء إلى الماهويات الثقافية في تفسير الأحداث الخاصة بالمجتمع العربي والإسلامي.

5- خاتمة:

في الأخير وبعد قراءتنا لكتاب جاك شاهين ولآرائه التي قدمها حول خطاب الاستشراق، يمكن أن تظهر لنا بعض النتائج، وهي أن نظرة الاستشراق لم تتغير طوال كل تلك السنوات، بل إن هذه النظرة توسعت أكثر في الفترة المعاصرة لتقتحم كل ميادين الثقافة والعلم والمعرفة كالإعلام والسينما، ولم يتمكن العربي ولا المسلم من الحد من هيمنة الآخر على الخطاب المعرفي والاستشراقي سواء من خلال تلك الدراسات والمؤلفات التي أنجزت حوله، ولا حتى عبر خطاب الاستغراب الذي انساق وراء الاتهامات والنبرة غير الموضوعية.

ربما ما قاله خالد إبراهيم في سياق حديثه عن نقد الاستشراق ومحاولة تصحيح النظرة الغربية للمجتمع العربي، يمكن أن يبرهن فشلنا في الفهم والنقد، لقد آن **الأوان أن نرفع عن جباهنا خزي الجهالة بمصادرنا وعار الاتكال في فهمها على فهم الغرباء عن لغتنا وصحة الاعتقاد بديننا وعلمائنا ما يريد منا هؤلاء المستشرقون المتعصبون أن نعتقده في حق ديننا.** فمشكلة العالم العربي حاليا هو إذا فقد الثقة بحضارته وهذا يدفع به إلى نتيجتين مختلفتين: إما التخلي عن تلك الحضارة والركض وراء حضارة الآخرين وإما الانغلاق ضمن تلك الحضارة خوفا من أن تؤثر فيها حضارة الآخرين.

ومن النتائج التي يمكن أن نوردها بعد النقد الذي قدمه **جاك شاهين** لخطاب الاستشراق هو أنه ينبغي إيجاد الحلول لوضع حد لما تقوم به هوليود سواء عبر الدعوة إلى التعامل مع العرب بالطريقة نفسها التي يتعاملون بها مع باقي الأجناس، أو تصحيح هذه النظرة التي تؤثر على صورة العربي.

يحتاج الشرق الإسلامي أن يفهم الحضارة الغربية من داخلها، وأن يكون أكثر ثقة بنفسه، لأن الحضارة الغربية ليست قادرة على استنزاف أسسه المعرفية الثقافية، واللحاق بالركب هو أكثر من ضرورة، ويمكن أيضا أن نوجه هذه التمثيلات التي أغرقت دور النشر والإعلام بدحضها أو مواجهتها بصنع تمثيلات لهذا الآخر الغربي على حقيقته.

الهوامش:

*ظهرت فكرة الاستشراق مع رغبة الآخر المسيحي في فهم الإسلام وتفنيده كدين مثلما حدث مع يوحنا الدمشقي، ثم توسعت إلى الرغبة في الاستفادة من منجزاتها الفكرية والثقافية والعلمية. مع مرور الزمن خولت الحضارة الغربية لنفسها أن تتخذ موقع المركز. وقد قدمت التكنولوجيا وسائل للإبقاء على هذا التمركز استنادا إلى قوة السلاح والقضاء على الإرهاب وحرية القوميات، الأمر الذي سبب اعتداءات على الأقطار العربية منذ حرب أكتوبر1973 واحتلال بيروت 1982، وطرد منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان وقصف أمريكا لعاصمة ليبيا 1986.

1. أنظر أوليفيه مورسن تيار الاستشراف الجديد والإسلام، من الشرق الشيوعي إلى الشرق الإسلامي، ص5

*لقد تم تغيير الاستشراق بمصطلح جديد خلال عقد المؤتمر العالمي بفرنسا بمناسبة مرور 100 عام على ظهوره وتحويله إلى اسم الدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال إفريقيا وتم إعادة بناء مجاله العالمي بعد طبعا استنطاق مجاله المعرفي والمنهجي وتبلوره في شكل دراسات جديدة

2. أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق الى نقد الاستغراب-المثقفون العرب والغرب، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، 2000، ص39

3. عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي، حول الاستشراف الجديد، مقدمات أولية، ط1، مركز الدراسات والبحوث للنشر، الرياض/ السعودية، 2022.ص99.

*بالإضافة إلى لويس هناك العديد من الكتّاب الذين عملوا على نشر التطرف والعداء للإسلام في مؤلفاتهم مثل ارنست غلينر، ووداتيل بابيس وبسام طيبي وفؤاد عجمي وورافئيل باتاي أنظر عبد الرحمن الوهيبي، حول الاستشراق الجديد، مقدمات أولية، ص64.

4. كراهية الإسلام: كيف يصور الاستشراق الجديد العرب والمسلمون، ترجمة فخري صالح، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2016، ص21

5. ضياء الدين ساردار، الاستشراق" صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية"، ترجمة فخري صالح، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، 2012، ص9

*تظهر إسهامات صادق جلال العظم الذي كتب مقالا حول الاستشراق والاستشراق معكوسا، ولدينا حسن حنفي في مقاله عن الاستشراق 1992. أيضا محمد البهي في كتابه الفكر الإسلامي الحديث. وعبد الله العروي في كتابه المستشرقون المتحدثون باللغة الانجليزية. يوسف السباعي حول الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، وهناك كتاب نقد الخطاب الاستشراقي للحاج ساسي..الخ.

6. خالد إبراهيم المحجوبي، نقد الاستشراق، نظرة تقييمية تقويمية، د ط ، قسم المكتبة، ليبيا، 2022 ص21

*اتهم الباحث بعض المستشرقين بأنهم عملاء كماسونيين وبعضهم الآخر بالإمبريالية مثل لويس برنارد الخ، وأن لا مجال يذكر لإسهاماتهم ومعرفتهم بالتراث العربي وعنايتهم به من باب اعر ف عدوك، يقول هنا في ظل عجزهم المعرفي يتخيلون دائما أن سكان العالم الغربيين لا يعيشون إلا ليكيدوهم ويضروهم ولينهبوا ثرواتهم ويشوهوا حضارتهم وأن لا شغل للغرب إلا بنا. عن خالد إبراهيم المحجوبي، نقد الاستشراق، ص12.

7. ضياء الدين ساردار، الاستشراق" صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية"، ترجمة فخري صالح، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، 2012، ص11.

8. المرجع نفسه، ص111.

9. جاك شاهين، الصورة المسيئة للعرب المسلمين في السينما الأمريكية. ترجمة أحمد يوسف، المركز القومي للترجمة، القاهرة ،2013. ص19.

10. المرجع نفسه، ص16.

11. المرجع نفسه، ص41.

*لورانس ولد1988، من أب ارليندي الأصل وأم مسيحية، حصل على منحة دراسية في جامعة اكسفورد قسم الآثار ووسع دراسته في البلاد العربية حول تأثير الصلبيين على فن النحت في الأجيال الوسطية، التحق بالبعثة البريطانية التي تقوم بأبحاث حول بابل. ثم عين ضابط احتياط في فرع الخرائط في مصر. توفي عام 1935 بسبب سقوطه عن دراجة نارية. اشتهر لورانس بكتابه أعمدة الحكمة السبعة

12. جاك شاهين، الصورة المسيئة للعرب في السينما الأمريكية، ص162

13. المرجع نفسه ص165.

14. جاك كوكتو، فن السينما، ترجمة تماضر فاتح، دط، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 2012، ص7.

15. جاك شاهين، الصورة المسيئة للعرب المسلمين في السينما الأمريكية، ص13

16. عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية-دراسة نقدية-، ادارة الثقافة والنشر بالجامعة، المملكة العربية السعودية، 1994، ص63

17. جاك شاهين، الصورة المسيئة للعرب المسلمين في السينما الأمريكية، ج2، ص45.

18. المرجع نفسه، ج1، ص23.

19. المرجع نفسه، ص51.

20. كراهية الإسلام: كيف يصور الاستشراق الجديد العرب والمسلمون، ترجمة فخري صالح، ص7

21. خالد إبراهيم المحجوبي، نقد الاستشراق، ص21

22. أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، ص283.

5. قائمة المراجع:

1. أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب-المثقفون العرب والغرب، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، 2000،
2. عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي، حول الاستشراف الجديد، مقدمات أولية، ط1، مركز الدراسات والبحوث للنشر، الرياض/ السعودية، 2022.
3. فخري صالح، كراهية الإسلام: كيف يصور الاستشراق الجديد العرب والمسلمون، الدار العربية للعوم ناشرون، لبنان، 2016.
4. خالد إبراهيم المحجوبي، نقد الاستشراق، نظرة تقييمية تقويمية، د ط ، قسم المكتبة، ليبيا، 2022 .
5. عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالانجليزية-دراسة نقدية-، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، المملكة العربية السعودية، 1994.

الكتب المترجمة إلى العربية:

1-أوليفيه مورس، تيار الاستشراف الجديد والإسلام، من الشرق الشيوعي إلى الشرق الإسلامي، د ط، مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، القاهرة/مصر،2010.

2- جاك شاهين، الصورة المسيئة للعرب المسلمين في السينما الأمريكية. ترجمة احمد يوسف، المركز القومي للترجمة، القاهرة ،2013.

3-جاك كوكتو، فن السينما، ترجمة تماضر فاتح، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 2012.

4- ضياء الدين ساردار، الاستشراق" صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية"، ترجمة فخري صالح، ط1، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، 2012